**المحاضرة الثانية** /الجملة الوصفية دراسة نحوية، للباحثة د. نسرين عبد الله ، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد السادس . ٢٠٠٧ م.

يتكون البحث ممّا يأتي :

١. خلاصة .

٢. مقدمة .

٣. منهج تحليل الجملة وأقسامها وأركانها في التراث.

٤. مفهوم الجملة ومنهج تحليلها وأقسامها وأركانها في اللسانيات العربية.

٥. الجملة الوصفية في نظام تمام حسان والخاتمة .

تحدثت الباحثة في المقدمة عن الجملة الوصفية ، وترى أنّها تقابل الجملتين : الاسمية والفعلية. وإذا أراد الباحث أن يدرس هذا الموضوع فعليه أن يعرّف مفهوم الجملة ، والمفهوم عبارة عن المعنى الذي يدركه الإنسان ، ولا يشترط فيه الاتفاق . بخلاف المصطلح الذي شرطه الاتفاق بين مجموعة من الباحثين.

تقول الباحثة : إنّ القدماء لم يعتنوا بمفهوم الجملة ، ولم يحدّدوا مفهوم الجملة ، ولا يوجد لديهم تصنيف للجملة. ولكن هذا الرأي غير صحيح ، فهناك تعريفات للجملة عند القدماء وتصنيف لها سيأتي ذكرها لاحقًا .

ويستعين الدارسون في توضيح المفاهيم بالتعريفات وهي أنواع منها التعريف المنطقي الذي يقسم على قسمين الحدّ والرسم ، والحدّ يكون بذكر الصفات الذاتية للمحدود مثل حدّ "الاسم : ما يدلّ على مسمى". فكلمة "ما" تشير إلى الجنس" وهو اللفظ الدال على المعنى العام" ، و"يدل على مسمى" أي الدلالة على المسمى من ذاتيات الاسم الموجودة فيه ، أي غير عارضة ولا زائلة عنه ، و"الدلالة على المسمى" صفة ذاتية في ذات الاسم بمعنى أنها لو زالت لزال الاسم معها ، ويصبح لفظًا مهملًا لا يدلّ على شيء . فالحدّ هو التعريف بالذاتيات .

أما الرسم فهو عبارة عن تعريف بالصفات العارضة للشيء المراد تعريفه ، مثلًا تعريف "الاسم هو المعرب" أو "الاسم هو المحلى بـ (أل)" فقد عرّف بالصفة. فهل هي ثابتة ؟ بالطبع لا ؛ لأنّها زائلة ، ومعنى هذا أنّ هذه الصفة العارضة لو زالت من الاسم فهو يبقى اسمًا . ولا يزول بزوال تلك الصفة. فلو حذفت"أل" من اسم محلًّى بها ، فإنه يبقى اسمًا.

بعد ذلك تذكر الباحثة تعريفات القدماء للجملة ما يخالف قولها"فلا نجد لديهم تحديدًا لمفهومها وحدودها وتصنيفها" . فالقدماء عرّفوا الجملة منهم المبرد الذي يقول" كان الفاعل رفعًا ؛ لأنه هو

والفعل جملة يحسن عليها السكوت ، وتجب بها الفائدة للمخاطَب" ، ثم علقت الباحثة على هذا التعريف بأنه حدّ للجملة عند المبرد والباحثة نفت ذلك سابقًا ، فوقعت بالتناقض عندما نقلت تعريفًا للجملة عند المبرد في كتابه المقتضب في باب الفاعل بقوله ((وإنما كان الفاعل رفعًا ؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن السكوت عليها وتجب فيها الفائدة للمخاطب)).

وكذلك ابن السراج وابن يعيش وغيرهما ذكروا الجملة وحدّوها . وقال ابن جني عن الجملة((كل كلام مفيد مستقل بنفسه)) إذًا مفهوم الجملة محدّد عند القدماء ، وتعدّ هذه التعريفات مفهومًا للجملة لا مصطلحًا ، لعدم اتفاق العلماء عليها ، فكل عالم له تعريف خاص به. ولكن سيبويه لم يذكر للجملة مصطلحًا ، فهي عنده مفهوم ، ثم أخذت الباحثة تميّز بين مفهوم الجملة والكلام ، وهذا لا ينطبق على العنوان الذي جاءت به في بحثها "الجملة الوصفية" والأفضل يقتصر كلامها على مفهوم الجملة .

**أسئلة في الموضوع**

**السؤال الأول** : كيف يحلّل النحويون الجملة ؟

هم يحللون الجملة على أساس الأبواب النحوية وهي : المبتدأ ، والفاعل ونائب الفاعل، والنعت والتمييز وغيرها ، فدراستهم للجملة دراسة تحليلية تجزئ الجملة إلى عناصرها ، وكل عنصر من عناصرها تدرس مسائله في باب نحوي ، فمثلًا الجملة الاسمية تقع في بابين المبتدأ والخبر. وبعضهم يجمعهما في باب واحد "المبتدأ والخبر". أما الجملة الفعلية فتدرس في باب الفعل والفاعل وغيرهما من التوابع والفضلات ، وابن هشام قد فصّل القول في الجملة وأقسامها "في مبحث خاص بها في كتابه مغني اللبيب.

والمطلوب . هنا. أقسام الجملة عند القدماء ، فبدأ تقسيم الجملة على مراحل عندهم، الأولى قسمت إلى قسمين ، فعلية واسمية ، واستمر هذا التقسيم الى الزمخشري (ت ٥٣٨) في كتابه (المفصّل) فأضاف قسمًا جديدًا هو الجملة الشرطية .

وعندما جاء ابن هشام الأنصاري ذكر قسمًا جديدًا ، وهو الجملة الظرفية ، ويقصد بها كل جملة تبدأ بظرف أو جار ومجرور على شرط أن الاسم بعدها لا يقدر بفعل ، بل إنّ الظرف هو العامل ، كجملة (في الدار زيدٌ ) فإنّ "في الدار" هو العامل في "زيد" دون تقدير.

وثمة خلط واضح عند الباحثة إذ قالت : إنّ ابن هشام قسم الجملة على ستة أقسام ، وهي الجملة الاسمية، والفعلية، والظرفية ، والشرطية والكبرى والصغرى ، فهل هذه الأقسام متقابلة ؟ .

إن القسمة ليست واحدة حتى تندرج الأنواع الستة تحتها، وهي قسمتها بحسب تقسيم ابن هشام، وهي في الواقع اللغوي قسمتان ، الأولى على أساس الحجم إلى صغرى وكبرى ، والثانية بحسب ما تبدأ به الجملة ، فتكون ظرفية إذا ابتدأت بشبه جملة ، وشرطية إذا ابتدأت بأداة شرط وهكذا في بقية الأقسام ، ثم نقول : أهذه القسمة صحيحة أم لا ؟.

**السؤال الثاني** : هل ذكر النحاة المتقدمون الجملة الوصفية ؟

لم يذكر النحاة القدماء الجملة الوصفية. وتقسيم أغلب القدماء على أساس واحد ، فقسموا الجملة على أساس نوع الكلمة التي تقع عنصرًا عمدة في الجملة "اسم وفعل" ، وبعضهم أضاف الجملة الظرفية التي تبدأ بظرف أو جار ومجرور. فالجملة الظرفية لا وجود لها مع التقسيم الأول المشهور ، وكذلك الجار والمجرور ؛ لأنّ الظرف والجار والمجرور ليسا من أقسام الكلمة التي كانت الأساس في التقسيم الأول.

**السؤال الثالث** : هل الظرف بنوعيه قسم مستقل من أقسام الكلمة ؟

الظرف كلمة تدل على زمان ومكان والزمان والمكان مسميان بالظرف فهو اسم دال على مسمّى والجملة التي تبدأ بظرف تكون اسمية . لأنّ الظرف من أقسام الاسم. أما الجار والمجرور فليس قسمًا مستقلًا بنفسه ، فيكون أما متعلقًا بفعل محذوف تقديره "استقر"، فتكون الجملة فعلية ، أو باسم يقدّر بـ "مستقر" فتكون اسمية.

**مفهوم الجملة الوصفية**

أطلق تسمية الجملة الوصفية الدكتور تمام حسان ، ولعل دراسته في بريطانيا وتأثره بالنظرية السياقية عند فيرث كان السبب في تكوين رؤية عامة للنظام النحوي عنده موظفًا السياق في فهم النظرية النحوية . وقد قسم الكلمة إلى سبعة أقسام :

١-الاسم ٢- الفعل ٣-الصفة ٤-الخالفة ٥-الضمير ٦-الظرف ٧-الاداة

ويقول إنه تقسيم قائم على الاستقراء ، ولكن لم نجد الاستقراء في كتاب [اللغة العربية معناها ومبناها]" وكتابه يخلو من استقراء كلام العرب الفصيح" فكيف يستخرج النظام النحوي منه من غير أنْ يطلع على كلام العرب ؟. وإنما رجع إلى كتب النحو ، ودرس القواعد النحوية ، فعلى الباحث أن ينظر في كلام العرب ، و القرآن الكريم والحديث المنقول بالتواتر. ثم يستخرج الجملة منه ويقسمها على أساس واحد وهذا لم يحصل عند الدكتور تمّام حسّان ، وهو يقول : إنه اتبع المنهج الوصفي ولم يقم بذلك الوصف المطلوب ولا حقّق شروط المنهج الوصفي في دراسته النحوية التي تداخلت فيها أقسام الكلمة وتداخلت أقسام الجملة ؛ لأنّ أسس فهمه للنظام النحوي وتصنيفاته على أساسين هما المبنى والمعنى الذين يفرضان ذلك التداخل .

**السؤال الرابع** : هل التقسيمات التي ذكرها صحيحة ؟

الاسم والفعل لا خلاف فليهما ، أما الصفة فلم تكن مذكورة في النحو القديم وإنما هناك مفهوم الوصف وفيه معنيان : الأول هو الوصف بمعنى النعت في علم النحو ، والثاني بمعنى المشتق ويعنون به الألفاظ التي تشتق بعضها من بعض ، والقدماء يرون أنها أسماء وأحيانا يعبرون عنها بالصفة ، لكن هذا التعبير والتسمية الجديدة لا يعني أنها قسم آخر من أقسام الكلام ، فإن اختلاف التعبيرات أو "التسميات" لا يغيّر من نوع الكلمة . فالمبتدأ يعبر عنه أحيانًا

بالمسند إليه ولا يغيّر ذلك من حقيقته ، والدكتور تمام حسان جعل "المشتق" قسمًا مستقلًا ، وكذلك فرّق بين أنواع المشتقات كما في صيغة اسم الفاعل واسم المفعول ، وهي مستقلة برأيه أي ليست أسماء ، فكل نوع يختلف عن الآخر بحسب زعمه من حيث المعنى والمبنى ، والصورة الإعرابية ،والجدول، والإلصاق وعدمه والتضام والدلالة على الحدث والزمن والتعليق ويقول ((وتختلف كل صفة منها عن الاخريات مبنى ومعنى ،فأما من حيث المبنى فلكل فئة منها صيغ خاصة)) وهو يقول عندما قرأت التعريفات القديمة للمشتقات أدركنا أنها لا تدل على مسمى بها ، وإنما تدل على موصوف ، لما تحمله من معنى الحدث (أي المصدر) وهي خارجة عن تعريف الاسم (وهو ما دل على مسمى).

إنّ الفصل هو من يميز بين هذه الأنواع ، والألفاظ أما تدل على معنى في ذاتها أولا. فإن دلت على مسمى في ذاتها فهي اسم ، وإن دلت على زمن وحدث فهي فعل ، وإنْ لم تدل على معنى في ذاتها فهي حرف. و الدكتور تمام حسان يفرق بين المشتقات في الدلالة على المسمى، فتخرج من تعريف الاسم ، وأصبح قسمًا مستقلًا بذاته.

فهل الصفات أو الصفة خالية من الدلالة على المسمى ؟

إنّ المسمى هو الذات بغض النظر عن أي صفة من صفاته ، ولذلك أن الأسماء الأعلام والضمائر والأسماء الموصولة وغيرها تدل على الذات وهي بذلك أسماء ، وعند تحليل الصفة(المشتق) نجد أن الذات موجودة ولكن ينظر الى صفة من صفاتها ، فنقول : "أخي كريم" على سبيل المثال فهي دالة على ذات وهو رجل معين وصف بصفة الكرم ، فإذا كانت الذات موجودة في الصفة. فالصفة تدخل في قسم الأسماء ، ولذلك تقسيم تمام حسان غير صحيح ، والصفات تختلف بعضها عن بعض. فمرة تكون على نحو الفاعل أو المفعول أو المبالغة أو الصفة الثابتة وجميعها دالة على موصوف. والموصوف هو المسمّى فهي دالة على مسمّى اتصف بصفة معينة. فتكون من الأسماء ؛ لأنّ تعريف الاسم ينطبق عليها.

**النتيجة**

نجد الصفات تدل على ذات مع صفة ، ولما دلت على ذات مع النظر الى صفتها فهي داخلة تحت قسم الاسم ، وإذا كان كذلك فإنّ مفهوم الجملة الوصفية يعود أيضًا إلى الجملة الاسمية ؛ لأنها تبدأ باسم وهو "الصفة". فيبقى تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية مستقرًا ودقيقًا.

**ملاحظات أخرى حول البحث**

١-عنوان البحث الجملة الوصفية دراسة نحوية ، والذي وضع الجملة الوصفية الدكتور تمام حسان. فدقة العنوان تتطلب تحديده بـ "الجملة الوصفية عند الدكتور تمام حسان".

٢-هناك دراسات سابقة لم تشر اليها الباحثة ، فهناك كتاب الجملة الوصفية للنحو العربي لمحمد شعبان عام ٢٠٠٤ ، ويمكن الرجوع الى مفهوم الجملة الوصفية في دراسة "الفكر النحوي عند تمام حسان لمحمود بركات دراسة وصفية تحليلية" .

٣- تابعت الباحثة آراء الآخرين ولم تأتِ بفكرة جديدة .

٤- نفت الباحثة عناية القدماء لمفهوم الجملة ، وثم تقول إنّ القدماء ركزوا على قضية الإسناد والمعنى . أليس الإسناد أبرز مقومات الجملة العربية ؟

٥- قبلت الباحثة تقسيم الدكتور تمام حسان. ولم تنقد الإشكال الذي وقع فيه .